11 me Année No. 538

Lundi - 25 - 10 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٢٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٥٣٨ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٦ شوال سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

في المسجد الأقصى

للدكتور عبد الوهاب عزام

شهدت صلاة العشاء في المسجد الأقصى في رمضان ، فلا أنسى ما يستقبل الداخل من روعة التكبير ينبعث من جانب المحراب بعيداً كأنما ينبعث من عالم الغيب . وما أنسى القناديل الخافقة في أرجاء المسجد كأنما ترعد من جلال التكبير ، ويأتلف تسبيح المصلين وخفقات الضوء كما تتآلف موسيقى من الأنغام والأشعة

وخرجت أمشي في الساحة الفسيحة الجليلة والرحاب الواسعة في صحن الصخرة وحوله وأشهد الأسوار والأبنية تحدث أخبارها والفكر طيار بين الماضي والحاضر ، والبصر حائر في هذه المشاهد الكثيرة المهيبة ، والقمر يرسل أشعته تترقرق على قبة الصخرة الجميلة وتنساب بين الجدران والأشجار ، والظلال تفصّل الضوء فتكتب سطراً من الجمال رائعاً ، أو تخط آية من آيات السجدة في هذا الحرم العظيم يقرؤها كل ذي قلب فتسجد جبهته أو يسجد قلبه

تركت الحرم وملء نفسي هذا الجمال والجلال ، وملء قلبي ذكر وعبر . ولما خرجت من باب العمود تأملت سور المدينة وقد علا البدر وراءه فتخللت شرفاته الأشعة وبدت كأنها

الفهـــرس

صفحة

فلول سيف قارع الحادثات طويلاً ، وأبلى فى الخطوب دهوراً

عدت إلى المسجد مرة أخرى يتلفت طرفى وقلبى وأتأمل هذه المشاهد مرة بعد أخرى كما يحرص القارىء على حفظ آية تروعه أو بيت من الشعر يعجبه ، ثم جلست فى رفقة كرام خارج باب العمود أتأمل السور الضيق ، والقمر من ورائه مرة أخرى

قلت لا بد من زيارة فى ضوء النهار يحيط فيها البصر والفكر بهذه الساحة العظيمة وما يتقسمها من أبنية ؛ فكم دخلت إلى هذا المكان فما استوعبه فكرى ولا أحاط بأرجائه نظرى

ثم واعدت الأستاذ عبد الله المخلص ، وهو من أعلم الناس بالحرم ماضيه وحاضره ، وواعدته أن نلتقى بعد صلاة الجمعة فى معتكف السيد المجددى وزير الأفغان من الحجرات فى صحن الصخرة

هذا يوم الجمعة لست بقين من رمضان عام اثنين وستين وثلاثمائة وألف وقد اقترب الظهر وأنا منحدر فى شارع باب العمود أحمد الإسراع الذى يدفع إليه الانحدار . دخلت من باب العمود إلى الطريق المدرّج ذى الدرجات الواسعة الوطيئة التى تهبط أو تصعد بالسابل بكاد لا يحس الانحدار والصعود ، ومررت بهذه العقود الحانية على طريق التاريخ إلى البيت المقدس تحمل الأبنية العالية كأنها عقود السنين تنوء بما تحمل من أحداث وذكر . والسابلة ميممة شطر المسجد يهتدى بسيرها من لا يهتدى طريقه . شهدت فى الحرم جمعة قبل هذه فإذا عيد إسلامى يشترك فيه الرجال والنساء والأطفال ؛ الآباء والأمهات فى صلاة ، والأطفال فى رحاب الحرم يمرحون ؛ ولكن اليوم يوم الجمعة اليتيمة وقد حرص على شهودها فى المسجد الأقصى كثير من أهل بيت المقدس والبلاد القريبة ، وهذه الوفود تتوالى فى أزياء المدن والقرى ، وقد تقسمت المصلين مصلّيات كثيرة فى فناء الحرم رضى بها من أشفق من الزحام فى المسجد الأقصى وقبة الصخرة . وسرت فرحاناً خاشعاً أتحرّى طريقى إلى حجرة السيد المجددى فلما بلغت الحجرة أدركنى عند بابها صديق عظيم لا يغيب وجهه عن مشهد من مشاهد الخير[1] قلت : السيد ليس ها هنا الآن نعود بعد الصلاة . وأحسب المسجد مكتظاً فهلم إلى الصخرة . قال : نصلى هنا فى جماعة من هذه الجماعات . فجلسنا وطرفى مقسم بين الجماعات التى تؤم مواضع الصلاة ، والجماعات التى تبوأت أماكنها فى هذا المحشر . استقرت بالمصلين المجالس زرافات لا يرى بينها إمام ، وخيل إلىّ أنها جماعات المسجد الحرام تتجه وجهات مختلفة ولكنها كلها إلى الكعبة

وكبّر إمام المسجد فتوالى التكبير بعيداً فانتفضت هذه الجماعات قياماً ، وأحكمت صفوفها وتوالى تكبيرها . ما أعظم هذا مشهداً جميلاً رائعاً ! وقفت أتلفت إلى الجماعات المتفرقة فى أرجاء المسجد ثم أحرمت فلم يمنعنى خشوع الصلاة من أن أجيل الطرف أمامى : هذه قبة المسجد الأقصى وأبنية أخرى تتخللها أشجار باسقات ، وأمامى على بعد جماعة من النساء اصطففن عند حجرتين عليهما قبتان ، وإلى اليسار جماعة أخرى من النساء وقفن مع عمّة جميلة تعلو بئراً من آبار الحرم ، وبعدها ذات اليسار جماعة أخرى عند العقود المشرفة على الدرج المؤدى من باب القبة القبلى إلى باب المسجد الكبير وبعدها جماعة من الرجال . ورأيت قبل الأحرام جماعة ذات اليمين فى الفناء الأدنى ، وأخرى خلفنا فوق صحن الصخرة المرتفع . فما زلت أراها بقلبى مع هذه الجماعات التى يدركها البصر أمامى . قلت لنفسى إنك فى شغل عن الصلاة بهذه المشاهد . قالت : إنى أشغل عن صلاة بصلاة ، وأخرج من صلاتى المفردة إلى صلاة الجماعة . ودوّى التكبير بعيداً فركعت هذه الجماعات وكدت أعجب لماذا لا تركع هذه الأشجار القائمة ، وقد ركعت الصفوف كلها ، وذكرت الآية :

« ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات ومن فى الأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه »

صلينا ركعتين هما عندى سجدة واحدة متصلة . فلما سلمنا قلت للصاحب الكريم ائذن لى لأشهد الجمع خارجاً من المسجد وأعود . وسارعت أتخلل الجموع المنتشرة بعد الصلاة والصفوف المسبّحة الجالسة التى لم ينتثر نظامها . وهبطت الدرج مسرعاً لأشهد السيل المتدفق من باب المسجد الأقصى وأتفرس الوجوه الخاشعة الفرحة ، وأتأمل الأطفال حول آبائهن وأمهاتهن ، وأرى هذا العيد العظيم فى هذا الحرم المبارك وأسارير وجهى تنبسط ابتساماً ، وتنقبض هيبة ، وقفت على شاطىء هذا السيل البشرى حيناً ثم رجعت أدراجى إلى صاحبى الكريم فى مصلاه...

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

(١) هو أحمد حلمى باشا رئيس بنك الأمة العربية

في محكمة الجن

للدكتور زكي مبارك

مع الاعتراف بأن القلم في يد الكاتب نعمة لا يعادلها شيء من نفائس الوجود ، فأنا كثير الضجر مما يجني عليّ قلمي ، لأنه يتيح الفرص لمن يسرهم إيذائي ، ولأنه يجعلني دائماً على بال الناس ، ويا ويح من يُشغل به الناس !

زُرت مرةً إحدى المدارس الثانوية فوجدت ناظرها رجلاً مجهولاً من الدوائر الأدبية والاجتماعية ، مع أن المرء لا يصل إلى مثل مركزه إلا بعد ظهور وبروز في الأدب وفي المجتمع ، فقلت في نفسي : « هذا هو الرجل السعيد . إن منصبه يضارع منصبي من الوجهة الرسمية ؛ وقد يكون راتبه أضخم من راتبي ، لأنه قديم العهد بخدمة وزارة المعارف . ولكنه أسعد مني ، لأنه بعيد من المجتمع ، ومجهول من الجرائد والمجلات ، فلا يتحدث عنه متحدث ، ولا يتزيد عليه قارىء لا يفهم أسرار البيان »

ثم قلت : « أين حظي من حظ هذا الزميل ؟ إن مقالاتي تؤخذ منها قصاصات لتقدَّم إلى وزير المعارف ، فأنا على بال الوزير من يوم إلى يوم ، أو من أسبوع إلى أسبوع . ومعنى هذا أني أقدم سريرتي قبل السؤال عما فيها من مجاهيل »

وعلى مَن يقع اللوم ؟ يقع عليّ وحدي ، فمن حق أي وزير أن يتعقب ما يصدُر عن مساعديه من أفكار وآراء ، ومن واجبه أن يناقشهم فيما يستوجب النقاش

والآفة القطيعة أني مُكثِر ، وقلّما يَسلم المكثار من العِثار . يضاف إلى هذا أن قلمي يجول في شجون من الأحاديث تمسّ طوائف من المعاني الشوائك ، فأنا أعرِّض نفسي لمتاعب لن تنقضي إلا يوم أتوب من صحبة القلم ، ولن أتوب !

هل أصدُق كل الصدق فأذكر أني شعرت بدمعة تساور جفوني يوم زرت ذلك الناظر السعيد ؟

لقد تحزّنت وتوجعت ، لأني عرفت أن القلم لا يغنيني في حياتي ، كما يغني أمثالي في الأمم التي يُعَدّ قراؤها بالملايين ، فلم يبق إلا أن أكون من الموظفين !

أين أنا مما أريد ؟

أنا أريد النص على أن قلمي ساق إليّ متاعب أخطر مما كنت أعاني ، فقد نقلني من معاداة الإنس إلى معاداة الجن ، ونعوذ بالله من كيد الشياطين !

وخلاصة القصة أني تحدثت عن « جِنّية » سامرتها ليلةً بالإسكندرية مسامرة الحبيب للمحبوب ، وأنا أجهل أن حديثي عنها ستكون له عقابيل ... فماذا وقع بعد ذلك الحديث ؟

أطفأت النور بالغرفة التي تطلّ على الصحراء ، لأستوحي القمر والنجوم في هدوء وسكون ، ثم راعني أن أرى الغرفة تضيء ، وأن أرى خلائق لم يكن لي بمثلها عهد ، فهتفتُ :

أتوا داري فقلت : مَنُونَ أنتم ؟

فقالوا : الجنُّ ، قلت : عِموا مساء

— محكمة !

— أية محكمة ؟

— محكمة الجنّ !

— وفي هذه الأنوار ؟

— هذه أنوار لا يراها غيرك ، فلا عليك !

— وهذه الوجوه ؟

— هي وجوه لا يراها غيرك

— وماذا تريدون ؟

— نريد محاسبتك على ما وقع منك

— وما ذا وقع مني ؟

— هل نسيتَ ما نشرتَ بمجلة الرسالة ؟

— عماذا ؟

— عن الجنيّة المحبوبة !

— ذلك خيال في خيال

— ونحن نحاسب على الخيال ، لأنه صورة مصغَّرة من الحقيقة الواقعية ، فأنت محاسَبٌ على اقتراف الإثم بمغازلة جنية عذراء .

— من حديثي بمجلة الرسالة عرفتم ما اقترفتُ ؟

— عرفنا ما اقترفتَ قبل أن تنشر حديثك
— وكيف ؟
— لأننا نراكم ولا ترونا
— وما الذى منع من عقد المحكمة قبل نشر الحديث ؟
— الإثم عندنا يحتاج إلى برهان مكتوب
— وحديثى هو البرهان ؟
— نعم ، ثم نعم !!
— أتسمعون كلمة الحق ؟
— قد نسمع !
— يجب أن تسمعوا ، فاسمعوا . أنتم تقفون من الحياة موقف المتفرجين ، والمتفرج يرى المثل ولا يراه المثل ، فالمثل آمر والمتفرج مطيع ، أو هو كاتب والمتفرج قارىء
— أتقول إن الإنس أفضل من الجن
— هو ذلك ، وإلا فأين نصيبكم فى خدمة الآداب والفنون ؟
— نحن الذين أقمنا عرش سليمان
— وأين عرش سليمان ؟
— بقيت منه المعانى
— هى معان إنسية لا جنية ، لأنها متصلة بالناس لا بالجان
— ونحن الذين ألهمنا شعراء الجاهلية
— وهم لهذا جهلاء !
— أنت تحاكم ، فما هذه الغطرسة العاتية ؟
— أنتم تحاكموننى ، يا جماعة الجن ، ولم يكن فيكم من يتّسم بشجاعتى ؟
— وما شجاعتك ؟
— أنتم تعرفون شجاعتى ، فما تنكرت ولا تلثمت كما تتنكرون وتتلثمون ، ولا سمح ضميرى بأن أرى الناس ولا يروننى لأنى أحب أن تكون أعمالى فى العلانية لا فى الخفاء
— والجنية التى سرقتها منا ؟
— لم أسرقها منكم ، ولن أردها إليكم
— أطع محكمة الجن
— وهل أطعت محكمة الإنس حتى أطيع محكمة الجن ؟
— سنؤذيك إن تماديت فى العصيان
— لا يستطيع مخلوق أن يؤذينى ، إن حفظت الأدب مع الله فى الترفق بنفسى
— حرِّر الجنية من حبك
— لن أحررها من حبى ، فما أرضى بأن يضيع نصيبها من شرف الوجود
— لا نفهم شيئاً مما تقول
— أنا أقول بأن الإنس أفضل من الجن ، لأن الإنس مجاهدون والجن رقباء ، والمجاهد أفضل من الرقيب
— والجنية المخطوفة ؟
— لن تكون لكم ولو عقدتم ألف محكمة
— وإن اغتصبناها منك ؟
— لن تغتصبوها منى ، بعد أن سمعت أشعارى ، وهى أشعار نظمتها بدم القلب
— أطع محكمة الجن
— لن أطيع
— وإذا حكمنا عليك ؟
— سيعييكم التنفيذ !

وفى هذه اللمعة برزت الجنية وهى تصرخ : أنا الجانية على نفسى ، إن كان من الجناية أن أخرج إلى الأنوار بعد طول القرار فى غياهب الظلمات

— ماذا تقولين يا حمقاء ؟
— معشوق إنسىّ ، يا سعادة الرئيس
— والإنس أفضل منا ، ياشقية ؟
— نعم ، لأن أعمالهم فى العلانية
— وأعمالنا ؟
— أعمالنا فى طيات الخفاء
— لست منا ولا نحن منك
— أنا من معشوق ، ومعشوق منى ، فاذهبوا عنى
— وننهزم أمام الناس
— كما ينهزمون حيناً أمام الجان ، والجروح قصاص

* * *

ثم انفضّت محكمة الجن بدون تمنت يحوج إلى الاستمانة

بالمحامين فعرفت أن الجن لا يزالون على الفطرة الأولية فى إدراك الحقائق البديهية ، وعرفت أيضاً أنهم يخافون من الإنس ، وكان معروفاً أنهم يخيفون ولا يخافون

ذهبت الأنوار المجلوبة بحضور الجن ، وعادت الغرفة إلى الضوء المرسل من القمر فى لطف ، وبقيت الجنية بجانبى وهى لا تكاد تصدق أنها نجت من تعقب أولئك العاليق

- هل صرنا فى أمان ؟

- أنتِ صرت فى أمان

- وأنتَ ؟

- ألم تعلمى أنى أقيم فوق جبل من البارود ؟

- أتخاف وأنا معك ؟

- أنا أخاف لأنك معى ، فقومُك لن يسكتوا عنى ، وقد يستنصرون بإخوانهم فى الشام والعراق

- المعروف عندنا أن شياطين الشام والعراق من أصدقائك

- ومن هنا أخاف

- تخاف من أصدقائك ؟

- وممن أخاف ؟ هل أخاف من أعدائى وأنا أملك البطش بهم حين أريد ؟

وانتقل الحوار إلى شؤون متصلة بالجمال فسألتنى الجنية عما يستهوينى من جمالها فقلت :

أنا أحب فيك هذا الصوت الناعم المبحوح ، وأشتهى أن تتكلمى فى كل وقت .. أشتهى أن تكون حياتك حديثاً فى حديث ، لا تسكتى ، فما رأيت أندى على قلبى وروحى من بُغامك الذى يُشبه وسوسة الحَبَب عند اضطرام الكؤوس . تكلمى لأرى نعيم الفردوس ممثَّلاً فى نبرات هن أعذب وأطيب من همسات الأمانى فى الصدر الحزين

هذا الصوت يزلزل قلبى ، وأنا أسمعه وإن اعتصمتِ بالصمت

- كيف ؟ كيف ؟

- هُويتُك الأصيلة هى هذا الصوت ، فأنت كالبلبل ، وهُوية البلبل فى الحلق ، والله يزيد فى الحلق ما يشاء[1]

- لم تجب عن سؤالى !

- قلت إن هويتك فى الصوت ، وأنت دائماً فى بالى ، فأنا أسمعك فى كل وقت ، وإن غبتِ عنى

- إلى هذا الحد يفتنك صوتى ؟

- وإلى أبعد من جميع الحدود

- كنت تقول إنى أفتنك باللون

- متى ؟

- ليلة بتنا بالإسكندرية ، هل نسيت !

- لونك يفتن ، لأنه ينطق ، وهو يتموّج تموّج النبرات العِذاب . إن فى قدميك خطوطاً نواطق ، فى قدميك ، فى قدميك ، فماذا أقول فى المرمر الناطق وهو صدرك الجميل ؟

- زدنى ، زدنى

- زيدينى فتوناً لأزيدك جنوناً

- ماذا تريد منى بعد أن خاصمت فيك قومى ؟

- أريد أن تتكلمى فى جميع اللحظات

- وأين أجد ما أقوله فى كل وقت ؟

- تقرئين علىّ ما فى المكتبة من مؤلفات أدبية وعلمية ولغوية ، بالعربية والفرنسية والعبرية ، والأمر سهل ، فإن محصول مكتبتى لا يزيد عن عشرة آلاف ، وستعبُرها ورقة ورقة فى أقل من عشر سنين

- إلى هذا الحد تحبنى ؟

- وإلى أبعد مما أحبّ العباقرة من الإنس والجن فى جميع الأزمان

- أنا أرتعد من الخوف

- وممّ تخافين ؟

- أخاف منك ، فدعنى أخرج لألحق بقومى

- لن تعرفيهم بعد اليوم ، ولن يكون لأحد غيرى عليك سلطان ، فليجمع الجن جموعهم ليلقونى فى ساحة القتال ، ولتتمردى ما شاء لك الحمق والطيش ، فلن يكون لك فى غير هذا البيت مكان

- وتحمينى من طغيانك ؟

- إذا اعترفت علانيةً بأن سلطان الجمال أضعف من سلطان البيان

زكى مبارك

---

(١) إشارة إلى القراءة التى ورد فيها « الحلق » بالحاء بدلا من الخاء

٥ـ حكاية الوفد الكسروى

لأســتاذ جليل

٤ — يقول عامر بن الطفيل العامرى :

« ... وبالحرى إن أدالت الأيام ، وثابت الأحلام ، أن تُحدث لنا أموراً لها أعلام . قال كسرى : وما تلك الأعلام ؟ قال : مجتمع الأحياء من ربيعة ومضر على أمر يُذكر . قال كسرى : وما الأمر الذى يذكر ؟ قال : ما لى علم بأكثر مما خبرنى به مخبر

قال كسرى : متى تكاهنت يا ابن الطفيل ؟

قال : لست بكاهن ، ولكنى بالرمح طاعن ... »

فى هذا القول شىء من علم الغيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله ، وأقوال علماء ومؤرخين كبار مشهورين من المتقدمين فى الكهانة والتكهنين إنما هى تخاليط . روى أبو العباس فى (كامله) :

لا يعلم المرء ليلاً ما يصبّحه ... إلا كواذبَ مما يخبر الفال

والفأل والزجر والكهان كلهم ... مضللون ، ودون الغيب أقفال

وروى صاحب (الكشاف) :

لوى اللهُ علم اللهِ عمن سوءاهُ ... ويعلم منه ما مضى وتأخرا

وقال شاعر صادق :

لعمرك ماتدرى الطوارق بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وأخبار مخبرين وأحاديث محدثين عن أناس كانوا يعلمون الغيب من الجاهلية أو من الصحابة والتابعين وغيرهم هى أباطيل وأضاليل « فقل : إنما الغيب لله » . وإذا كان رسول الله سيد هذا الوجود ومعناه — وهو رسول الله وهو النبى محمد — لا يعلم الغيب فلن يعلم الغيب أحد . وفى المقالة « شق وسطيح » فى الرسالة (٢٤٩ ص ٦٠٥ س ٦) أوضحت الغيب الذى أطلع الله نبيه عليه ، وذكرت آيات من كتاب الله بينات تنادى أن سيد البشر والأنبياء والمرسلين وصفوة النوع الإنسانى لا يعلم غيباً . وذكرت هناك حديث (أم المؤمنين) — رضوان الله عليها — فى مسند الربيع بن حبيب ، وهو من أقدم كتب الأثر التى وصلت إلينا كما ذكرت قول الإمام علىّ القارى فى الآية الكريمة : « وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم ، نحن نعلمهم » قال : « وهذا فى (براءة) ومن أواخر ما نزل من القرآن ، هذا والمنافقون جيرانه فى المدينة »

قلت : ومثل الآية فى (براءة) قوله تعالى فى (الأنفال) يخاطب النبى وأصحابه :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم . وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يُوَفَّ إليكم وأنتم لا تُظلمون »

ذلكم ما فى كتاب الله ولم يزل مسلمون فى كل وقت يصدقون المنجمين والتكهنين فقد جاء فى (الجامع لأحكام القرآن) ج ٧ ص ٣ :

« قد انقلبت الأحوال فى هذه الأزمان بإتيان المنجمين والكهان لا سيما بالديار المصرية ، فقد شاع فى رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين ، بل ولقد انخدع كثير من المنتسبين للفقه والدين فجاءوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال ، واستخرجوا منهم الأموال ، فحصلوا من أقوالهم على السراب والآل ، ومن أديانهم على الفساد والضلال ، وكل ذلك من الكبائر لقوله (عليه السلام) : « لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »[1] فكيف بمن اتخذهم وأنفق عليهم معتمداً على أقوالهم ... »

قلت : وفى غير مصر مثل الذى هو فى مصر ، والحال ما حال فى هذا الزمان . ومن جنس الدجاجلة التكهنين جماعة (التنويم المغناطيسى) الذين يعلمونك — كما تقول إعلاناتهم فى الجرائد وإنها لكاذبة وإنهم لكاذبون — بماضيك وحاضرك ومستقبلك ...

(✽)

---

(١) فى هذا الكتاب (الجامع لأحكام القرآن) تفسير الامام القرطبي :

« جاء فى صحيح مسلم عن بعض أزواج النبى (ص) قال : (من أتى عرافاً فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) والعراف هو الحازى والمنجم الذى يدعى علم الغيب ، وهي العرافة وصاحبها عراف ، وهو الذى يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها . وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن فى ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة فى ذلك . وهذا الفن هو العيافة وكلها ينطلق عليها اسم الكهانة ، قاله القاضي عياض والكهانة أدعاء علم الغيب ...

١ ـ الشعر المرسل والشعر الحر

للأستاذ دريني خشبة

[إلى الأستاذين الشاعرين ، أبي حديد وباكثير من رواد التجديد في الشعر العربي ، أهدي هذه الفصول]

الشعر المرسل هو الشعر الذي لا قافية له ، واسمه بالإنجليزية Blank Verse

والشعر الحر هو الشعر الذي لا يتقيد بعدد التفعيلات في البيت الواحد ، فقد يتركب البيت فيه من تفعيلة واحدة ، وقد يكون تفعيلتين ، وقد تصل تفعيلاته إلى ثمان أو عشر أو اثنتي عشرة ، وذلك في القصيدة الواحدة . والشعر غير مقيد في أبياتها بعدد من التفعيلات يتمها في كل بيت ، بل هو يرسل نفسه على سجيتها ، فتارة يقول تفعيلة واحدة يودعها إحدى خوالجه ، وتارة يقول خمس تفعيلات تعبر عن خالجة أخرى ، وطوراً تصل التفعيلات إلى ثمان أو أكثر أو أقل ، حتى تتم القصيدة أو الملحمة ، وهذا هو ال Free Verve ويتفق الشعر الحر والشعر المرسل في التحرر من القافية ، وهما في ذلك يختلفان عن الشعر الغنائي الذي لا تتم موسيقاه إلا بها

ولا يتقيد الشعر الحر بالأوزان العروضية الرسمية ، فللشاعر أن يبتكر أوزاناً جديدة إن استطاع ؛ وقد غلا شعراء الشعر الحر في ذلك حتى لا تلتفت إلا الأذن الموسيقية وحدها إلى (غنائهم المكتوب) كما يعبر مؤرخو الآداب الأوربية

وكان أول ظهور الشعر المرسل في إيطاليا في أوائل القرن السادس عشر ، حينما كتب به الشاعر ترسينو Trissino مأساته سوفونسبا Sofonisba وذلك سنة ١٥٠٥ ، ولا يعرف تاريخ الآداب العالمية شعراً مرسلاً أقدم من هذه المأساة . وقد أنشأ الشاعر جيوفاني روشلاي Giovanni Rucellai (١٤٧٥ ــ ١٥٢٥) منظومته (النحل) بعد ذلك ، وهو الذي أطلق على هذا اللون من ألوان الشعر اسم (الشعر المرسل) Versi Sciolti أو Blank Verse كما سماه الإنجليز

وما كاد هذا النوع من الشعر يظهر في إيطاليا حتى قابله النقاد والمتأدبون بأعنف صنوف السخرية والاستهزاء ... وكانت أخف صفات التحقير من شأنه هي : غث ... كلام فارغ ... هراء ... هذا عبث ... ذلك إجرام في حق الشعر الإيطالي ... لا شك في أن ترسينو يهذي ... إلى آخر تلك السلسلة الصارمة من ألفاظ الهجاء ...

إلا أن ترسينو ما فتئ يلح على مزاج أمته ويغازل ذوقها حتى استجابت له ، وحتى أقبلت على مآسيه تستخفها وتسيغها ، ثم تنسى بها المآسي المنظومة بالشعر الغنائي المقفى وتنسخها نسخاً

ثم نظم بالشعر المرسل فحول الشعراء الإيطاليون بعد ذلك ، وفي مقدمتهم أريوستو Ariosto الذي نظم به ملاهيه الرائعة كلها ، وتاسو Tasso وجواريني وغيرهم

وقبل وفاة ترسينو بقليل ، انتقل الشعر المرسل إلى انجلترا ، وذلك في أواخر عهد هنري الثامن ، حينما ترجم هنري هوارد H. Howard جزءين من إنيادة فرجيل إلى الإنجليزية بهذا الشعر (١)

ثم استعمل الشاعران ساكفيل ونورتون الشعر المرسل لأول مرة في الدرامة الإنجليزية حينما ألفا درامتهما المشهورة (جوربودك Gorboduc) التي لخصناها للقراء في فصولنا السابقة عن نشأة الدرامة الإنجليزية . ولم يكد ينتهي القرن السادس عشر حتى كان الشعر المرسل يستعمل استعمالا عالياً واسع النطاق ـ إلا في العالم العربي طبعاً ! ـ في جميع الأغراض المسرحية ، وذلك بعد أن لقي في كل دولة من الدول الأوربية نفس ما لقيه في إيطاليا من السخرية والاستهزاء ... إذ ناهضه النقاد الإنجليز مناهضة قاسية ، ومع ذلك فقد هيأ الله له فيها شاعراً شابا فخم الديباجة حسن السبك مشرق البيان نقي الأسلوب ، لا يلتوي ولا يغمض ، ولا يتعمل ولا يغرب ، فاستطاع أن يكبح جماح النقاد ، وأن يرغمهم على احترام الشعر المرسل ... ذاك هو مارلو العظيم الذي ألممنا إلى جهوده الأدبية

(١) في بعض المصادر أن سري Surrey هو الذي قبس هذا اللون من ألوان الشعر عن الايطاليين

فى كلماتنا السالفة ؛ مارلو صاحب القريض الفريد أو أل : Mighty Line كما دعاه النقاد الساخرون أنفسهم فيما بعد

ثم تهيأ للشعر المرسل شيكسبير الخالد ، وذلك عندما أشرفت حياة مارلو على نهايتها ، فقد نظم (سيدا ڤيرونا) : The Pwo Gentlemen of Verona ، ثم أردفها بروائعه المسرحية التى بهر بها الدنيا جميعاً حيث تجات فيها مزاياه التى أكسبت اللغة الإنجليزية والأدب الإنجليزى والشعر الإنجليزى ذلك التفوق الذى سوف يخلد على وجه الزمان . أما هذه المزايا فأهمها الكمال fiuness والمرونة Suppleness والتنوع Variety ، أضف إلى ذلك الموسيقا التى لا تعرف القلق ، ولا يعتريها النشوز أو (النشاز) بمعناها الاصطلاحى ؛ تلك الموسيقا التى لا غناء لأى نوع من أنواع الشعر عنها ، لأنهـا روح الشعر ونضرته وجماله فى الأذن وفى القلب معاً . . . ثم أضف إلى ذلك أيضاً افتنان شيكسبير وتمكنه من اللغة ، وبصره بألفاظها ، وذوقه الرفيع النقاد الذى كان أقدر الأذواق على تنخل هـذه الألفاظ وتخيرها فى غير التواء أو تقعر . هـذا إلى خيال خصب وبيان متدفق ومقدرة فائقة على التنقل ، وإلمام عجيب بالأصول المسرحية التى تنبع أول ما تنبع من البديهة العبقرية قبل أن ترتكز إلى مواضعات علمية

وقد لا يسر القارىء ، بل ربما يضايقه جد المضايقة أن نخوض به فى شىء من معميات العروض الإنجليزى ، ذلك العروض السهل البسيط الذى لا يصح أن نقيسه إلى عروض الشعر العربى ، ذلك العروض الصعب المعقد ، إلا على الشعراء .

وبحسبنا هنا أن نذكر أن العروض الإنجليزى ، بل كل أنواع العروض فى اللغات الأوربية ، إنمـا أساسها التفعيلة The Foot وليس أساسها الأبحر كما فى العروض العربى

وبحسبنا أيضاً أن نذكر أنهم حينما يبدأون الكلام عن العروض الإنجليزى ، أو عروض أية لغة أوروبية ، يقولون إن أشهر التفعيلات عندهم أربع[1] ... أربع فقط ، فى حين أن التفعيلات التى تتركب منها بحور العروض العربى كثيرة لا حصر لها ؛ فمنها مستفعلن ومتفاعلن وفاعلن ومفاعلن وفاعلاتن وفعلن وفعولن ومفاعيلن ومفاعلتن ... إلى آخر هذا الثبت الطويل الذى ليس فيه شهير وغير شهير ، والذى يمد الشعر العربى بموسيقا لا نظير لها فى أى من عروض أية لغة من لغات العالم من حيث الدقة فى ضبط الميزان والمحافظة على النغم ؛ فلدينا ستة عشر بحراً غير مجزوءاتها ومشطوراتها كل منه له موسيقاه ورقته وعذوبته . ونستطيع أن نجعل هذه الستة عشر بحراً ألفاً وألفين إذا أردنا ذلك ، وهذا بتأليف نغم أساسه بعض التفعيلات التى اتفق عليها عروضيو العرب بحيث تتم لنا بحور جديدة موسيقية إن كان لا بد أن نزيد فى عدد البحور الموجودة عندنا

ولسنا الآن بسبيل الموازنة بين العروض العربى وألوان العروض الأوربى ، ولهذا نعود إلى العروض الإنجليزى فنقول : إن نقاد الشعر من الإنجليز يقررون أن اللغة الإنجليزية تجرى سهلة لينة طيّعة حينما تنظم شعراً فى البحر الأيامبى Iambic Metre (أنظر الحاشية بأسفل الصفحة) وهو ذلك البحر الذى يتكون من خمسة تفعيلات إيامبية ـ وقد اختار الشعراء هذا البحر لنظم الملاحم والدرامات لأنه متوسط الطول فهو يتألف من عشرة مقاطع (٥ تفعيلات × مقطعين) ؛ وقد فضلوه على البحور القصيرة التى تتألف من ثمانية مقاطع مثلاً لأنها تكون قصيرة النفس ولا تنهض بأعباء الحوار فى الدرامة ، ثم هي لا تسعف الشاعر فى أداء المعانى الطويلة فى الملحمة ؛ وكذلك فضلوه على الأبحر التى تتألف من اثنى عشر مقطعاً وعللوا ذلك بحاجة تلك الأبحر إلى القافية لتتم الموسيقا ويستقيم النغم ويسلم الميزان

(١) وأولها وأهمها الـ Spondee وتتألف من مقطعين ممدودين كقولك ما ذا وعوجوا وباعوا fato ؛ وثانيها الـ dacty وتتألف من ثلاثة مقاطع أولها طويل والآخران قصيران مثل Mer-ri-ly أو قولك جاهد وقوتل — ومن الـ Spondee والـ dacty يتكون بحر = مزدوج من عروض الشعر الانجليزى . وثالثها الـ Iambus أو الـ Iamb وتتكون من مقطعين أولهما قصير والثانى طويل مثل The bee بعطف أداة التعريف The وفى العربية مثل طويل وزبون — ورابعها الـ Trochee وتتألف من مقطعين أولهما طويل والآخر قصير مثل Tripod أو Try-on ، ومن الـ Iamb والـ Trochee يتكون بحر مزدوج آخر ـ وتأتى بعد هذه التفعيلات الأربع اثنتان غير مشهورتين هما الـ Anapest وتتألف من ثلاثة مقاطع : اثنان قصيران وثالث طويل . كقولك As they roar — on the shore وهكذا يتكون من هذه التفعيلة وحدها بحر بذاته . وذلك كما فى الكامل الذى وحدته متفاعلن والمتقارب الذى وحدته فعولن والمتدارك الذى وحدته فعلن ـ ثم الـ Amphibrach ويتألف من ثلاثة مقاطع قصير وطويل وقصير كما فى amusement ومثل ريحانه وهي وحدة بذاته أيضاً

وقد أثار الشاعر الأمريكي لنجفلو Longfellow على هـذا التقليد ، فنظم قصته البديعة Evangeline من أطول بحر عرفه العروض الإنجليزي (ستة عشر مقطعاً !) ، كما أنشأ منظومته الطويلة الجميلة Hiawatha من أقصر بحور هذا العروض (ثمانية مقاطع فقط !)

وقد نجح لنجفلو في إڤانجلين نجاحاً عظيما . ولن أنسى قط تلك الدموع التي ذرفتها بعد قراءة تلك المأساة الغرامية الباكية المليئة بالعواطف الجياشة والخيال الخصب والوصف الشائق الأخاذ

أما في هياواثا ، فقد فشل الشاعر العظيم وانحط عن الأفق السامي الذي ارتفع إليه في درته السالفة . على أنني أحسب أن تفاهة الموضوع هي التي ذهبت بروعة القصة ، وليس البحر القصير الذي يشبه المتدارك في العروض العربي ، وللمتدارك موسيقاه الحلوة التي لا تنسى ومنه

« اشتدى أزمة تنفرجى » و « يا ليل الصب متى غده »

ويفضل بعض الشعراء البحر الأسكندري The Alexandrine نسبة إلى الإسكندر الأكبر والقصائد التي نظمت فيه من هذا البحر . ويؤثر شعراء المأساة الفرنسيون النظم من هذا البحر إطلاقاً وهو يتكون من اثني عشر مقطعاً (ست تفعيلات إيامبية مقطعين)

ولم يزل الشعر المرسل يتأرجح بعد شيكسبير بين العلو والسفل حتى جاء ملتون العظيم فنظم به طرفته الخالدة (الفردوس المفقود) التي وصف فيها الحرب بين عيسى (الخير) وبين الشيطان (الشر) ، وكيف تم الفوز للمسيح آخر الأمر ... تلك الطرفة التي بلغ فيها الشعر المرسل قمة الإجادة ... ومن العجب أن يفشل ملتون في منظومته التالية (الفردوس المعاد) في المحافظة على ديباجته التي بلغها في الفردوس المفقود ، ولعل للسن حكمه في هذا الأنتكاس

ومما يؤثر أن ملتون استطاع أن يتجنب كثيراً من العلل التي كان يتورط فيها شعراء عصر إلزابث أو التي لم يكونوا يرون غضاضة في وجودها في أشعارهم ، وقد أبت على ملتون بصيرته النقادة أن يقع فيما وقع فيه أسلافه ، أو أن يبيح لنفسه تلك الضرورات الشعرية السخيفة التي لا يلجأ إليها إلا كل شاعر لم تنضج شاعريته بعد

ثم ركد الشعر المرسل مرة أخرى بعيد ملتون حتى عاد إليه شبابه – بعد النهضة – وذلك على أيدي أتواي Otway ولى Lee ودريدن Dryden

واستعمله في القرن الثامن عشر شعراء عظماء فأتوا فيه بالمعجز والمطرب ، ومن هؤلاء طومسون ويَنج

ثم استعمله الشعراء المحدثون (شعراء القرن التاسع عشر) أمثال بيرون وشلي وسوينبرن وكيتس وتنيسون ، وإن لم يستحدثوا فيه شيئاً جديداً ، إلا أنهم نظموا فيه الغرر المشجية وأمدوا الأدب الإنجليزي بثروة لن تبيد

وقد فهمت من حديث لي مع بعض الأدباء المصريين أنهم يعتقدون أن الشعر المرسل قد انتهى زمنه ، وهذا رأي خاطيء ، فقد نظم به رديار كبلنج نصف إنتاجه تقريباً كما نظم به برنردشو درامانه العظيمة Cashel Byrone's Profession التي أعدها للمسرح عن قصته التي تحمل هذا الاسم ، والتي اعترف هو نفسه بأنه إنما لجأ إلى نظمها بالشعر المرسل لأنه أيسر عليه وأسهل من النثر !

وسنعرض في مقال آخر إن شاء الله لشعراء العصر الحاضر الذين لا يزالون يستعملون الشعر المرسل في تأليف قصصهم المنظومة ودراماتهم . وسنرى ما كان يلقاه پينرو Sir Arthur Pinero المتوفى سنة ١٩٣٤ والذي أتى في الدرامة المنظومة بما يضارع ما جاء به شيكسبير إن لم يتفوق عليه أحياناً من عنت نقاد الأدب الإنجليزي الحديث وسخفهم

أما الشعر الحر فلم يقرر المؤرخون على وجه التحقيق متى بديء استعماله ، ولم يهتدوا إلى مبتكره الأول . وقد حاول ملتون في منظومته عن شمشون Samson Agonistes محاولة بارعة في الشعر الحر ، كما شاع استعماله بين الشعراء الفرنسيين . وقد نظم به لافونتين في القرن الثامن عشر ، ولكن على قواعد العروض اليوناني ، وكذلك استعمله ماثيو أرنولد كثيراً فأجاد هذا ، وقد تفنن الشعراء في ابتكار الأوزان الجديدة لهـذا الضرب من ضروب الشعر فأتوا فيه بالأعاجيب . . . على أنه لم

المشكلات

٩ـ اللغـــة العربية

للأســتاذ محمد عرفة

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

لقد فاتحت كثيراً من رجال التربية والتعليم فى مصر ممن يهتمون باللغة العربية فى هـذا الأسلوب الجديد فى تعليم اللغة ، فـكانوا جميعاً يلقوننى بشبهة واحدة قد اتفق الجميع عليها ، وكأنهم تواطأوا على إيرادها ، أوردها من لا أحصى ممن يهتمون بشئون التعليم فى مصر ، ومن قبل ذلك أوردتها فيما بينى وبين نفسى

وهذا دليل على قوتها ، وقرب تناولها ؛ فإن استطعت حلها فقد ذللت عقبة كأداء فى سبيل الإصلاح المنشود

يقولون جميعاً : مما يعوق ملـكة تـكوين اللغة العربية عندنا أن اللغة العامية سبقت إلينا فتـكونت ملـكتها فينـا ، واللغة العامية تحريف للغة العربية وخطأ فيهـا ، فإذا تـكونت فينا ملـكة اللغة العامية فهذا معناه تـكون ملـكة الخطأ فى اللغه العربية ، وإذا سبق الخطأ وصار ملـكة ثبت ورسخ ، فإذا أريد بعد ذلك إصلاحه وصيرورة هذا الإصلاح ملـكة تعذر واستحال

ومما يزيد الأمر تعذراً واستحالة أننا لا نزال نسمع من والدينا وإخواننا وأهلينا ومخالطينا وأصدقائنا اللغة العامية ، يتـكلمون بها ونـكلمهم ، ونتفاهم بها ونتساجل ، فهى لغة البيت ولغة الشارع ولغة المدرسة ولغة الأغانى ولغة التمثيل ولغة الخيالة ولغة بعض المجلات ، أينما توجهنا وجدناها ، وحيثما أصغينا سمعناها ، وهـذا معناه أن الخطأ واللحن فى اللغة العربية سبق فصار ملـكة ، وأنه لا يزال يتردد على أسماعنا ونردده فيزداد رسوخاً ، حتى يختلط بلحمنا ودمنا ، فمهما فعلنا للتخلص من ملـكة اللحن والخطأ لم يفدنا ، وكلما هربنا من هذه الملـكة لحقتنا ؛ فأين النجاء وأين المهرب ؟ وهى قد سبقت فاستحكمت فينا ، ثم أخذت تلاحقنا وتسابقنا وتتغلب علينا وتقهرنا . ولعل هذا هو الذى دعا العلماء الأقدمين إلى أن ييأسوا من تـكوين ملـكة العربية الصحيحة ، فاكتفوا بالقواعد والقوانين التى تضبط أمرها مع التنبيه والمعالجة ، ولم يسموا إلى ملـكتها التى تعطى التعبير بها دون قصد ولا تنبه ولا تـكلف ولا علاج

وإنى أقول فى جواب هذه الشبهة أن ذلك يبين عسر اكتساب ملـكة العربية لا تعذره ، والمشقة لا الاستحالة ؛ فإنه لو استحال تـكوين ملـكة العرنية مع سبق ملـكة العامية لما وقع لأحد . وكيف وقد وقع للـكثير من رجال اللغة والأدب ؟ حقاً إن هذا دليل على التعسر لا على التعذر بدليل أننا نجد خلافه من نفوسنا وخلطائنا ؛ فـكثير منا قد سبقت إليه فى صباه ملـكة العامية ، ثم عنى بكسب ملـكة اللغة العربية بالحفظ والمرانة فاكتسبها ، ولم تمنعه الملـكة السابقة أن يكتسب الملـكة اللاحقة ؛ بل إنى لأزعم أنه لا يكتب الـكتاب ، ولا يشعر الشعراء ، ولا يخطب الخطباء باللغة العربية إلا بفضل الملـكة التى اكتسبوها من القراءة والحفظ والاعتياد والتى قاومت ملـكات العامية فى نفوسهم فغلبتها وظهرت عليها لا بفضل القواعد وحدها

لقد قام الدليل على أن لا سبيل إلى اكتساب اللغة إلا هذا السبيل وهو أن اللغة ملـكة والملـكة لا تـكتسب إلا بالتـكرار ، فإذا تعين هذا السبيل بالدليل فلا معنى لتصيد الشبه من هنا ومن هنا للهروب مما أوجبه الدليل وعينته الحجة . وهل توقفت المدارس الأجنبية عن تعليم تلاميذها لغة غير لغتهم بطريق الحفظ والحديث بحجة أن لغتهم صارت ملـكة فيهم فلا يمكن أن يكتسبوا ملـكة لغة أخري . الواقع أن من الناس من يجيد لغات كثيرة وكلها ملـكات فيه ، وقد اكتسبها بطريق المحادثة

ينتشر انتشاراً عالياً إلا قبيل الحرب الـكبرى (الماضية) ؛ وتسمى الشعراء الذين آثروه واستعملوه بكثرة باسم The Imagists أى الذين يصورون صور الأشياء بالشعر الحر كما يصور الفنان صورها فى ذهنه بألوان من نور ، ومن هؤلاء عزرا بوند Pound وفلنت Flint ولول Lowell و د . ه لورنس الشاعر والـكاتب الروائى الماجن وريتشارد ألدنجتون ، ونرجو أن نوفق للـكتابة عن مذهبهم الشعرى بتوسع قريباً

(يتبع) دريني خشبة

والحفظ ، ولم تزاحم ملكة لغة ملكة لغة أخرى عنده ، وإن كانت ملكة بعض اللغات عنده أقوى من بعض فذلك لا يعنينا لأننا في أصل تحصيل الملكة لا في جودتها والمفاضلة بين الملكات بعضها وبعض . إن علماء الأخلاق قد جزموا بإمكان تغيير الأخلاق وقالوا إنه يمكن أن يكون الجبان شجاعاً ، والبخيل كريماً ، والشره عفيفاً ، والأخلاق ملكات ، والخلق الذميم تحريف للخلق الفاضل ، ورأوا أن التكرار كفيل بالتغيير ، وما على الجبان إلا أن يتشجع ويعمل أعمال الشجعان ، وما على البخيل إلا أن يتسخى ويعمل أعمال الأسخياء ، ليكتسب الخلق الجديد ، ويتخلى عن الخلق القديم

فإذا كانوا قد جزموا بذلك في الأخلاق غير متحفظين ولا مترددين فما أحرانا أن نجزم به في اللغة ولا نتحفظ ولا نتردد

وليس ما يتصيدونه من شبه مما يشفع لنا أن نترك الطريق الطبيعي لتعليم اللغة ونسلك طريقاً غير طبيعي في تعليمها

على أننا قد أخذنا بالحيطة والحزم ، فلم نعنِ القواعد إلا في الأقسام الأولية والابتدائية فجعلنا التعليم فيها بالحفظ والمحادثة فقط ، أما في مرحلة التعليم الثانوي وفي مرحلة التعليم العالي فقد جمعنا بين الطريقين ، طريق القواعد وطريق الحفظ ، فإن لم تزدها قوة فليس تزيدها ضعفاً ، وهذا ربما يبين للناس بالتجربة صلاحية الطريقة الجديدة لتعليم اللغة ، فإذا بان صلاحها رفعنا القواعد إلا من التعليم العالي ومن المعاهد التي تعد معلم اللغة العربية

إن ما يقال من الصعاب التي تعترض من يريد تكوين ملكة اللغة العربية ، والتي تدفع بعض الناس إلى أن يظنوا أنها تجعل اكتساب هذه الملكة متعذراً ومحالاً إنما هو منبهة على مواضع العقاب في تحصيلها ، وليس من المحال التغلب على شتى هذه العقاب والصعاب . فلنتلاف منها ما يمكن ملافاته ، ولنبق للزمن ما عليه أن يتمه ، وما دمنا نبذل الجهد المضني والزمن الكثير الذي هو رأس مالنا في تعلم العربية فعلينا أن نزيل من معوقات هذه الملكة كل ما تمكن إزالته ، وإلا كنا نهدم باليسار ما نشيده باليمين

علينا أن نجعل أغانينا باللغة العربية ولا نسمح للغة العامية أن تكون لغة الغناء ما دام ذلك يعوق ملكة العربية ونحن نبذل الجهد والمال في اكتسابها ، ولا يصح أن نتناقض في أفعالنا

علينا أن نجعل روايات المسرح باللغة العربية ولا نسمح للعامية أن تحتل المسرح لأن ذلك يعوق ملكة العربية فينا ، ونحن قد ملأنا برامج تعليمنا باللغة العربية لنتعلمها ، ولا نحب أن نكون كذلك الممثل الذي ظهر على المسرح وبيده اليمنى أوراق ، وبيده اليسرى أوراق ، فقيل له ما بيدك اليمنى ؟ فقال قوانين . قيل له وما بيدك اليسرى ؟ قال نسخ هذه القوانين

علينا أن نحتم أن تكون لغة المجلات هي اللغة العربية ، ولا نسمح للعامية أن تحتل مكاناً فيها للعلة نفسها ، وهكذا الشأن في الإذاعة وفي الصحافة

وإذا كنا إذا بنينا بناء وشيدناه ، وبذلنا المال في تشييده لا نسمح لغيرنا أن يهدمه ، فحرى بنا ونحن نبني ملكة اللغة العربية فينا ، وننفق في سبيلها كرائم أموالنا ، وزهرة شبابنا ، وأعز جهودنا ألا نسمح للمسارح ودور التمثيل والمغنين والمغنيات أن يهدموا ما نبنيه

وعلينا أن نبكر في تلقين التلاميذ نماذج من المحفوظات العربية ، وقد سهلت مدارس رياض الأطفال علينا هذه المهمة ، فالتلاميذ يذهبون إليها في سن مبكرة ، فعلينا نحن أن نهتبل هذه الفرصة فنعطيهم نماذج يحفظونها تناسب عقولهم ، ولا تنبو عن أفهامهم ، ما دامت الملكة السابقة لها القوة والسيطرة والغلبة

لقد غالى بعضهم وزعم أن تكوين ملكة العربية أسهل على الإنجليزي والفرنسي منها على من سبقت له ملكة العامية ، وذلك مبالغة في اليأس والقنوط

إن العامية لا يمكن أن تقف في طريق تكوين ملكة العربية ، بل إني أرى أنها عون على اللغة العربية ، فمن السهل على من عرف العامية أن يتعلم اللغة العربية وتكون عوناً له عليها ، وتطيعه ملكة اللغة العربية بأيسر وأسهل مما تطيع من لا يعرفها ولا يتكلم بها كالإنجليزي والفرنسي ، لأن معرفة العامية تعلم الكثير من العربية فتعلم كثيراً من مفرداتها كالأرض والسماء والسحاب والماء والثرى والهواء ، تعلم كثيراً من أساليبها وتراكيبها ، والنقص الذي دخل على ملكاته من تحريف العامية شيء سهل يمكن ملافاته إذا سار في الطريق المستقيم عكس من

بمناسبة العتاب اللبناني

الأخوة الأدبيـــة
بين البلاد العربية
للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

كنتُ دعوتُ في البريد الأدبي للرسالة الأديب اللبناني « إلياس أبو شبكة » إلى رسم لوحة أدبية للشاعر اللبناني المعاصر نجيب إليان بمناسبة نجاحه في مسابقة الشعر العربي التي نظمتها محطة الإذاعة اللاسلكية في لندن . ولقد خصصت بالدعوة الأستاذ « أبو شبكة » ، لأنني أعرف من ريشته الفاتنة في تصوير الأشخاص ما لا يعرف الكثيرون . ولأن هذه المعرفة جاءتني من طريق كتاب له عنوانه « الرسوم » صوَّر فيه طائفة من أدباء لبنان تصويراً يبرز التفاصيل على أصولها ويخرج الدقائق إخراجاً لا يُخطيء كما لا تُخطيء العدسةُ الطيبةُ في إخراج التفاصيل

وما عرفتُ « أبا شبكة » معرفة الجسم ولا مرأى العين ، ولكنني عرفته من كتابه « الرسوم » ومن ديوانه « أفاعي الفردوس » الذي تفضل فأهداه إليَّ بتوقيعه الكريم في سنة ١٩٣٨ . ومن حينها انعقد بيننا ودٌّ روحي أكدته قراءتي له ومتابعتي لآثاره في صحف لبنان التي تحملها الأقدار السعيدة إليَّ

وما كنت أظن وأنا أقترح عليه هذا المقترح أن في صدره أموراً طوى كَشْحَه على مستكناتها ، وأن في نفسه كلاماً يريد أن يقوله ؛ فإذا به في العدد ٢٩٠ من مجلة « الجمهور »

اللبنانية يرد عليَّ رداً يتنكر به قديم ودنا ويتجاهل « سامحه الله »

(محمد عبد الغنى حسن موقِّع القسم الأول من البريد الأدبي في الجزء ال ٥٢٨ من الرسالة)

وإذا كان الأخ قد نسي ودّي فأنا أجد من حق عليه أن أذكّره بتقدمة الإهداء التي كتبها على « أفاعي الفردوس » ، حين أهداه إليَّ من لبنان البعيد

وفي رد أبي شبكة عتاب على الرسالة خاصة وعلى الصحافة المصرية عامة . ولكنه عتاب شديد مشى فيه صاحبه إلينا بالسيوف كما مشى الشاعر قبله إلى الملك الجبار حين صعَّر خده ! ولكنه عتابٌ حبيبٌ إلى النفس ، لأنه عتاب الأخ الكريم والجار الجُنُبُ ؛ ولأن فيه صراحة لأنه من شاعر لا يحب الكذب ولا المواربة ، ولا يخرج الخبيث من القصد بصورة المجاملة أو اللياقة أو المرونة

ويظهر لي أن العدسة الطيبة التي اختص الله بها الشاعر « إلياس أبو شبكة » قد استحالت إلى عدسة مكبِّرة مهوِّلة تخلق القباب من الحبوب ، وتجعل الجبال من النمال ! فهو يثور على صحافة مصر في غير موضع للثورة ، ويعتب على أدباء مصر في غير محل للعتاب ، ويتهم الصحافة المصرية إجمالاً بإهمال الحركة الأدبية القائمة فيما يلي مصر من الأقطار العربية وخاصة لبنان . ويتهم الأستاذ أحمد حسن الزيات بالتعصب ، ولكنه يجله ويقدر أدبه ويعرف مكانته هو وجميع أدباء لبنان (الذين لا يعرفون للأدب حدوداً ولا يقررون له مناطق)

وبالطبع لم تمر كلمة الأستاذ أبي شبكة من غير رد أو تعقيب ، وكان أسبقنا إلى الكلام الأستاذ ابراهيم المازني في عدد ١٢ سبتمبر من البلاغ . وثنّى الدكتور زكي مبارك بكلمة في العدد ٥٣٣ من الرسالة اعترف فيها بإغفال المجلات المصرية للحركة الأدبية في لبنان وغيره من الأقطار العربية ؛ ولكنه رد ذلك إلى إغفال عام للحركة الأدبية في مصر ذاتها . وهذا كلام في جملته صحيح ولكنه يحتاج إلى بعض التصحيح ... فالحركة الأدبية في الأقطار العربية عامة ملحوظة في بعض الصحف المصرية « كالمقتطف » التي لا ينفي عنها مصريتها كونها من أصل لبناني . وعجيب جداً أن يتكلم الأستاذ في « لبنانية المقتطف » أو « مصرية الرسالة » ؛ وهو كلام لا نحبُّ أن نسمعه لأنه يوجع الآذان والقلوب ، ولأنه يفسح المجال لمن يقولون : هذا مصري ، وهذا لبناني

لم يعرف شيئاً من العامية ، فيبدأ في تعلم العربية من جديد كلمة كلمة ، وحرفاً حرفاً ، وأسلوباً أسلوبا ، ونظماً نظما

قد بلغنا في نصرة الأسلوب الجديد في تعليم اللغة العربية المبلغ الذي وسعه الجهد ، وإن كان قليلا ، وبلغنه الوسع وإن كان ضئيلاً ، ولم نترك حجة تفيد نصرته إلا تتبعناها ، ولا شبهة تدل على خلافه إلا أفسدناها . ولم يبقَ للمهيمنين على تعليم اللغة العربية في وزارة المعارف وفي الجامعة وفي الأزهر عذر في ألا يصطنعوا هذا الأسلوب ؛ فقد وضح الحق ، وانخذل الباطل ، ولم يبق عذر لمعتذر

محمد عرفة

وكيف يا أخي أغفلت « الرسالة » وغيرها أدبكم ، وأهملت إنتاجكم ، وهي تنشر لشكري فيصل وسعيد الأفغاني وعلى الطنطاوي وطه الراوي وأنستاس الكرملي واحمد صافي النجفي وحسين الظريفي وكوركيس عواد وميخائيل عواد ، وفدوى عبد الفتاح طوقان ووداد سكاكيني وغيرهم وكلهم من الأقطار العربية القريبة والنائية ؟

ثم ما وجه عتابك أنت بالذات يا أخي وأنت لا تكتب حتى في المجلات المصرية التي يديرها ويشرف عليها – كما تزعم – لبنانيون كالمقتطف والهلال ؟ فما رأينا لك فيها من زمان بعيد أثراً ، على حين قرأنا لأخينا اللبناني الأستاذ كرم ملحم كرم أخيراً قصة لبنانية رائعة في إحدى المجلات الشهرية

والحق أنك يا أخي أصابك نوع من ركود الإنتاج الأدبي فأخذت تتجنى على صحافة مصر البريئة وأدبائها البرآء . ودليلي على ذلك أن صحافة مصر الأدبية في هذا العام مملوءة بأسماء ميخائيل نعيمة اللبناني وعدنان مردم بك وعبد الوهاب الأمين البغدادي ونقولا زيادة الفلسطيني وأسعد طلس السوري وصلاح اللبكي وزكي المحاسني وخليل هنداوي وصلاح الدين المنجد وراجي الراعي وغيرهم من أدباء الأقطار العربية . فأين اسمك بينهم ، وأين جولتك في ميادينهم ؟

أما كتبكم يا أخي فلم تغفلها الصحافة المصرية جملة ولا الأدباء المصريون . وإلا كنتَ في هذه الدعوى متجنياً علينا كعادتك . ففي مجلة مصرية شهرية باب للمكتبة العربية لا يفلت منه كتاب عربي خرج في سوق الأدب مهما ضؤل حجمه ! حتى ديوان « خيوط النهام » الذي نظمه الشاعر السوري الرقيق عبد الله يوركي حلاق ، وكتب مقدمته صديقك كرم ملحم كرم . ولست أريد هنا أن أشق عليك وعلى القراء بالحديث عن نفسي وعن مكتبة مصرية شهرية . فما أسمج أن يتحدث المرء عن نفسه !

على أن الصحف المصرية نفسها قد تسكت عما يصدر في مصر نفسها من الآثار الأدبية – كما قال ذلك بحق الدكتور زكي مبارك في رده عليك – فإن سلسلة « إقرأ » لم تظفر من « الرسالة » بكلمة واحدة على طرافة ما كتب في تلك وجدّته . وخاصة تلك « الدجاجة الفلسطينية » التي وجدنا من حديثها عقلاً وعجباً .

وقد تلاحظ يا أخي رواج كتبنا في بلادكم وإملاق بلادنا من كتبكم . وتلك حقيقة يا أخي لا نحمل نحن مسئولية التقصير فيها . ولعل لتجار الكتب وموزعيها يداً في ذلك ، فنحن قد نحفى أقدامنا في السؤال عن كتاب طبع في الشام فلا نجد له أثراً ؛ حتى كتب الكبار من أدبائكم . فإن « ملوك العرب » لأمين الريحاني لم أجده في مصر إلى أن أهدانيه مؤلفه وحمّله صديقي المرحوم ألفريد الجميّل . وكانت لنا مشاركة في مجلة المكشوف – حيا الله صاحبها – فلم نستطع الحصول عليها من مكتبات مصر . حتى كتابك الرسوم لم أعثر على نسخة منه إلا بقَدَر سعيد . . . ولولا هداياكم المتوالية ما عمرت مكتباتنا الخاصة بكتبكم التي نقرؤها ونجلها

على أن العاتبة بينكم لا تحملك يا أخي على أن تسكت عن دعوة دعوتك إليها في موضوع الكتابة عن الشاعر اللبناني نجيب إليان . فاكتب عنه في أية صحيفة شئت ؛ وارسمه في أية مجلة أردت ، ولكن لا تنس أنك أسأت الظن « بالرسالة » التي لا ينكر فضلها في تمكين الروابط العربية إلا غيرُ منصف . وحاشاك أن تكونه والسلام .

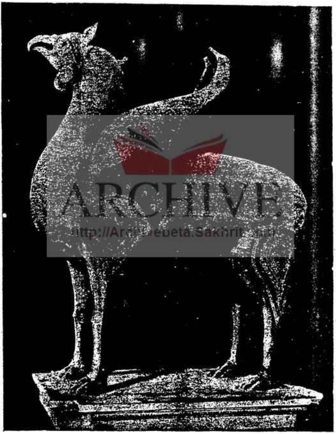
محمد عبد الغني حسن

٦ـ الاسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

لم يرد فى القرآن الكريم نص صريح يحرم استعمال الذهب والفضة والحرير ، وجميع الآيات التى تتعلق بهذه الأشياء إنما تشير إلى أنها مما سيتمتع به المتقون يوم القيامة عندما يسكنون الجنة ويلبسون الحرير ويتحلون بأساور من ذهب وفضة ؛ ولكن ورد فى كتب السنة أحاديث عدة تنظم استعمال هذه الأشياء . بعضها يحرمها وبعضها يحللها بحسب الظروف المختلفة . والملحوظ فى التحريم على كل حال هو الرغبة الصادقة فى الحيلولة بين الرجال وبين الانغماس فى النعيم ، حتى يظلوا متمسكين بعادات البداوة والخشونة ولا يفقدون شجاعتهم وحميتهم . ولقد كان فى تلك الإباحة وهذا التحديد أو التحريم غنم كبير للفنون الجميلة يتجلى لنا فيما أبدعه المسلمون من المنسوجات ومن الحلى والأوانى

أما الحرير فله فى تاريخ الحضارة قصة شيقة ساهم المسلمون فيها بأوفى نصيب ، فقد كان إنتاجه سراً مغلقاً لا يملك مفتاحه غير الصينيين . واستطاع الامبراطور جستنيان فى سنة ٥٥٦ م أن يقف على هذا السر ، وأصبحت بيزنطة منذ ذلك التاريخ من أهم مراكز إنتاج الحرير ونسجه . واقتصر استعمال المنسوجات الحريرية فى أول الأمر على النساء ؛ ولكن رجال الدولة الرومانية اتخذوا ملابسهم من الحرير . وعند ما ظهر الدين المسيحي ورأى رجال الكنيسة أن فى استعمال هذه الملابس ترفاً لا يقره الدين ولا سيما وقد كانت أثمان هذه الملابس مرتفعة إلى حد بعيد انبروا لمقاومة انتشارها وأعلنوا حرباً شعواء عليها ، ولكنهم فشلوا فى حملتهم ، وتغلبت روح الترف على الناس فأقبلوا على اقتنائها . وجاء الإسلام فلم يشأ أن يقف جامداً أمام هذه المشكلة ، بل نظم استعمال الملابس الحريرية تنظيما كان له أبعد الأثر فى الفن ، إذ وردت فى كتب السنة أحاديث عدة أباحت الحرير للنساء إطلاقاً من غير قيد ولا شرط ، وحرمته على الرجال إلا لضرورة ، أو كان الثوب مشتملاً على قدر أصبعين أو أربع أصابع من الحرير . وعلى أساس هذه الإباحة ازدهرت طريقة الزخرفة المسماة بالتابسترى Tapestry ، وكانت المنسوجات التى تزين بهذه الطريقة تنسج بالطريقة العادية للنسيج أى تقاطع خيوط اللحمة بخيوط السدى حتى إذا وصل النساج إلى النقطة المراد زخرفتها أوقف عملية الحشو بخيوط اللحمة وأخذ فى عمل الزخرفة بخيوط من الحرير المختلفة الألوان



صورة مجسمة تمثل عقاباً من البرنز من الدولة الفاطمية ـ نقلا عن كنوز الفاطميين للدكتور زكي محمد حسن ـ راجع البحث المنشور فى العدد ٥٣٧ من هـذه المجلة

فترى الثوب وقد ازدان بشريط من الحرير يتضمن زخرفة مدهشة تدل دلالة واضحة على مدى ما بلغه المسلمون من الخبرة الواسعة بالأوضاع الزخرفية والأساليب الفنية والمقدرة الفائقة على اختيار الألوان ، حتى أن الإنسان لا يدرى أموضع السحر فى هذه المنسوجات دقة الزخرفة أم التناسق بين الألوان أم جمال الحرير وقد نسج وسط الكتان ؟ ولقد كانت هذه الطريقة متمشية مع ما أقره الفقه الإسلامى ، وإن كان الفاطميون قد تسامحوا فيها فى أواخر عصرهم فزادوا فى مساحة أشرطة الزخرفة المنسوجة من الحرير عن النسبة المقررة شرعاً

وفى ظل الإباحة المطلقة للنساء تقدمت صناعة نسج الحرير وراجت رواجاً عظيماً ، وأصبح فى متناول معظم الناس بعد أن كان قاصراً على الحكام والأمراء قبل الإسلام ، وتسلم المسلمون زعامة تجارته فى العصور الوسطى ، وكان لهم فضل إدخاله فى صقلية والأندلس

أما الحلى المصنوعة من الذهب فقد نشط الصناع المسلمون فى صياغتها ، وتفننوا فى صنعها ، وأتوا فيها بالبدع المدهش ، والأمثلة القليلة التى عثر عليها فى أطلال الفسطاط — أقدم



صحن من الخزف ذى البريق المعدنى من الدولة الفاطمية — نقلا عن رسالة فى وصف محتويات دار الآثار العربية للمرحوم الأستاذ «حسن الهوارى»

العواصم الإسلامية فى مصر — من خواتم وأساور وأقراط خير دليل على ذلك . ولو لا أن الحلى الذهبية من الأشياء التى تصهر ويعاد صنعها فى العصور المختلفة لوصلت إلينا نماذج كثيرة تكشف عن مهارة المسلمين فى هذه الناحية

أما اتخاذ الأوانى من الذهب والفضة فقد حرم بنص الأحاديث المختلفة ، ولكن هذا التحريم كان فى الواقع سبباً مباشراً فى اهتداء الفنان المسلم إلى طريقة استطاع أن يوفر بها



شمعدان من نحاس أصفر مكفت بالذهب والفضة مؤرخ ٦٦٨هـ من فهرس مقتنيات دار الآثار العربية للمرحوم مكس هرتس بك

للأوانى الخزفية جمال الذهب وبريقه فتوصل إلى صنع الخزف ذى البريق المعدنى . ولحسن الحظ قد وصلت إلينا من هذا الخزف أمثلة كثيرة تسابق إلى اقتنائها المتاحف والهواة فى الشرق وفى الغرب . وفى الحق أن هذه الأمثلة قد امتزجت فيها دقة الصانع بعبقرية الفنان فأبدعا معاً هذه التحف التى يستمتع الآكل فيها بجمال الذهب ورونقه ويرتاح ضميره — إن كان مسلماً متمسكاً بالدين — إلى إتباع أحكام الدين وطاعته

هذا وقد اهتدى المسلمون تحت ضغط هذا التحريم إلى طريقة تطعيم أوانى النحاس بالذهب والفضة فجمل من الأوانى المنزلة بالذهب وبالفضة أو بهما معاً تحفاً رائعة لهـا من الجمال الفنى والذوق السامى ما تتضاءل بجانبه الأوانى المتخذة من الذهب الخالص أو الفضة الخالصة .

(يتبع)

محمد عبد العزيز مرزوق
الأمين المساعد بدار الآثار العربية

وحى القـــرآن

للأستاذ محمود أبو رية

كتب الأستاذ محمود البشبيشى كلمة فى العدد (٥٣٤) من الرسالة جعلها رداً على سؤالنا الذى وجهناه من قبل إلى أئمة الدين والعلماء المحققين لكى يبلغوا لنا رأيهم فى أمر وحى القرآن باللفظ، وكأنه حسب أن هذا الرد فيه بلاغ للناس وجواب عما سألنا.

يقول الأستاذ « إن موضوع الوحى من القضايا التى فصلت فيها الأيام منذ عهد الرسالة، وموضوع خلق القرآن أو قدمه من المباحث التى توفر عليها علماء المسلمين فى عهد المأمون والواثق (كذا) والمعتصم وما تركوا منها ناحيه تحتاج إلى توضيح أو استيفاء »

ونحن إذا كنا لم نعرض بشىء لأمر خلق القرآن فإنا نجيب عن ذلك، أنه لم يكن لوحى القرآن قضية فى عهد الرسول وصحابته ومن تبعهم حتى يبحثوا عنها أو يفصلوا فيها، وإنما كانوا يعلمون أن القرآن كتاب منزل يفهمونه ويعملون بما فيه.

ولقد كان للسلف مذهب فى فهم صفات الله التى وردت فى القرآن ولم يكن منها صفة (المتكلم)؛ ذلك أنهم يرونها كما وردت بغير تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل. وظل الأمر على ذلك إلى أواخر الدولة الأموية حين ظهرت مسألة خلق القرآن، فكان العلماء يتولونها بالجدل والبحث حتى دخلت السياسة فيها زمن المأمون إذ حمل الناس على القول بخلق القرآن، واستمر الأمر على ذلك أيام المعتصم والواثق إلى أن تولى المتوكل فنهى الناس عن الخوض فى هذا الأمر. ولما كفت السياسة عن تدخلها عاد البحث إلى العلماء يتناولونه فيما بينهم

وبهذا الذى بيناه ينتفى ما قاله الأستاذ البشبيشى من أن علماء المسلمين فى عهد المأمون وما بعده لم يتركوا منه ناحية إلى توضيح أو استيفاء

وقال الأستاذ: « إن سلف العلماء وأئمة الفرق الإسلامية لم يختلفوا — أى كما قلنا نحن — على أن القرآن لفظاً ومعنى كلام الله » وهذا عجب منه لأنى لم أقل ذلك ولم أعرض بشىء (لمعنى القرآن) وهذا نص كلامى « ووحى القرآن باللفظ أمر اختلفت فيه الفرق الإسلامية »

وقال « إنما الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة على قدم اللفظ وحدوثه » ونحن نذكر للأستاذ أنه لم يكن ثم خلاف بين هاتين الطائفتين على حدوث الكلام اللفظي وإنما كان خلافهم على (المعنى النفسى)، وأن فرقاً كثيرة قد شجر بينها الخلاف فى كلام الله حتى قال ابن تيمية « والناس قد تنازعوا فى كلام الله نزاعاً كثيراً والطوائف (الكبار) نحو ست فرق — وأن الناس فى كلام الله مضطربون وقد بلغوا فيه إلى سبعة أقوال »

ولقد كان مثار خلاف العلماء فى تحقيق كلام الله وحدوثه وقدمه، لأنهم رأوا قياسين متعارضين فى النتيجة وهما:

١ — كلام الله صفة له وكل ما هو صفة فقديم، فكلام الله قديم

٢ — كلام الله مركب من حروف وأصوات مرتبة متعاقبة فى الوجود، وكل ما هو كذلك فهو حادث، فكلام الله تعالى حادث. من أجل ذلك اضطروا إلى القدح فى أحد القياسين ضرورة امتناع حقيقة النقيضين: فذهبت كل طائفة إلى صحة بعض المقدمات والقدح فى الأخرى؛ فالأشاعرة والحنابلة ذهبوا إلى صحة القياس الأول، والمعتزلة قدحت فى الصغرى منه، والكرامية قدحت فى الكبرى. والمعتزلة والكرامية ذهبوا إلى صحة القياس الثانى، والأشاعرة قدحوا فى الصغرى منه، والحنابلة قدحوا فى الكبرى. وثم آراء متباينة لطوائف أخرى كالكلابية والسالمية وبعض الفلاسفة كابن سينا ومن على رأيهم من المتصوفة والشيعة، وهذا كله غير مذهب السلف الذى أشرنا إليه فى أول كلمتنا. ومن يرجع إلى كتب الكلام الكبيرة وكتب الملل والنحل يجد تفصيل هذا الخلاف ومعترك هذا النضال

ولقد كان من قول أبى الحسن الأشعرى أن كلام الله

يطلق إطلاقين ، كما هو الشأن فى الإنسان ، فالإنسان يسمى متكلما باعتبارين ، أحدهما بالصوت ، والأخرى (بكلام النفس) الذى ليس بصوت ولا حرف »

وقد قال شيخنا الأستاذ الإمام محمد عبده : « ليس النزاع فى (الكلام اللفظى فإنه حادث باتفاق) ، وإنما النزاع فى إثبات (الكلام النفسى) » ، وأبان أن الأشعرى لم يثبت الكلام النفسى إلا لترويج ظواهر النصوص الدالة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وإن قوله هذا ليس إلا زيادة قول فى المسألة من غير فائدة . ثم ناقش ما استندوا إليه فى إثبات الكلام النفسى واستشهادهم بقول الأخطل : إن الكلام لفى الفؤاد الخ .

فقال رضى الله عنه : « فليس الكلام لغة أو عرفا ما هو فى الفؤاد كما زعموا فى قول الشاعر أن الكلام لفى الفؤاد الخ . فالقرائن قائمة على أنه ليس المراد منه الإخبار بأن الكلام هو الصور الخيالية التى يعقبها النطق ، بل الإفادة أن كل متكلم فإنما ينطق عن أخلاقه وأحواله الذاتية الكامنة ، ولفظه إنما هو دليل على ما انطوى عليه كما يعطيه ذوق الكلام »

وجاء فى المقاصد : « خالفنا جميع الفرق فى إثبات الكلام النفسى وقالوا لا معنى للكلام إلا المنتظم من الحروف المسموعة الدالة على المعانى المقصودة ، وإن « الكلام النفسى » غير معقول إذ يقيسون ما فى نفس الله على ما فى نفس الإنسان »

ومما أوضحناه يتبين أن موضوع خلق القرآن لم يكن – كما قال الأستاذ – من القضايا التى فصلت فيها الأيام ، ومن أجل ذلك يكون سؤالنا لا يزال قائما ، والإجابة عنه ما برحت دينا فى عنق علمائنا

أما قول الأستاذ إن سؤالنا قد انطوى على شك واضح فى « حقيقة وحى القرآن الكريم » ، فهذا ما لا أناقشه فيه ، لأن هذا السؤال كما يبدو لكل ذى فهم قد وقف عند حد « وحى القرآن باللفظ » ، ولم ينفذ إلى ما وراء ذلك ...

وما دام الأستاذ قد تقدم إلى ميدان هذا البحث وجال فيه بقلمه ، فإنا نرجو منه أن يحقق للناس أمر لفظ القرآن ، ويبين لهم كيف كان وحيه ، وما معنى الكلام النفسى ، وإنه لجد عليم بأن البحث فى « كلام الله » أمر مقرر فى كتب تدرس بالمعاهد الدينية الإسلامية فى جميع أقطار الأرض ، وقد قالوا إنهم قد سموا علم العقائد « بعلم الكلام » ، لأن أشهر مسألة وقع فيها الخلاف بين علماء القرون الأولى هي كلام الله المتلو ، أهو حادث أم قديم ؟

هذا ما نرجوه منه ، فإن لم يفعل فليقف فى جانبنا وليستمع معنا ما يتفضل به أهل الذكر علينا

وما دام الأمر بعيداً عن عالم الغيب وعن أصل الوحى فإن البحث يقتضيه ، وأنه لا ضرر من إثارته وتمحيصه ما دامت السياسة لا تعرض له ولا تتدخل فيه .

(المنصورة) محمود أبو رية

نداء الخريف

تعالىْ . أوشكت أيامنا تنفدْ
تعالىْ . أوشكت أنفاسنا تبردْ
بلا أمل ، ولا لقيا ، ولا موعدْ

تعالىْ . هذه الأيام لا ترجعْ
ولا تصفى لنا الدنيا ولا تسمعْ
ولا تجدى شكاة الدهر أو تنفعْ

كلانا ضائع فى الكون مفقودُ
فلا هدفٌ له فى الأرض مشهودُ
ولا أملٌ له فى الغيب موعودُ

ألا ما أحمق اثنين غريبين !
إذا عاشا ـ مع الحب ـ فريدين !
وهذا الكون لا يدرى الشريدين !

نعم قد أدمت الأشواك قلبينا
وسدت هـــذه الدنيا طريقينا
ولكن أين ماضى حبنا أينا ؟

تعالىْ نحى بالأشواق ماضينا
ونبعثْ فى حمى الحب ليالينا
فهذا الحب إذ نحييه يحيينا

تعالىْ لم يعد فى العمر متسعُ
تعالىْ لم يعد فى الكون منتجَعُ
وغولُ الدهر لا يبقى ولا يدعُ

تعالى . نحن بعثرنا السويعاتِ
ونحيينـــــا بأيام عزيزاتِ
فيا أختاه يكفينا حماقاتِ

أجل يا أختُ ما قد ضاع يكفينا
تعودى . ها هو العش يناديناً
فلا نخربه يا أختُ بأيدينا

ربيع العمر يا أختاه قد مرّا
فلم نطعمه أو نغنم به ذخرا
وما عاد لنا منه سوى الذكرى

فلا نخسر هزيعين من العمر
فدفء العش قد يجدى لدى القر
وروح الحب قد يحيى لدى القبر

ويا أختاه زاد العش يغذونا
فإن الزاد قد قل بأيدينا
وجدب العمر يا أختاه يؤذينا

تعالى نقطع الباقى من العمر
رفيقين على الخير على الشر
حليفين على اليسر على العسر

تعالى أوشكت أيامنا تنفد
تعالى أوشكت أنفاسنا تبرد
بلا أمل ولا لقيا ولا موعد

(حلوان) سيد قطب

وداع المصيف

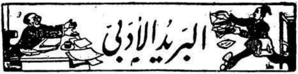
مرت عهود المصيفِ وكل شىء يمـــرُّ
مضت بكلِّ طريفٍ من الحيـــاة يسّر

نعم وراحت سريعة أيامه والليـــالي
وبات عرس الطبيعة من ذكريات الخيال

الصبح فيـــه حبيبُ يفيض بالبشر فيضا
والليـــل ساج طروب كم سر نفساً وأرضى

بحر من الحسن طامى فى البحر يخفى ويظهر
يروى به كل ظامى إلى الجمال ويسكر

وبسمة ونسيم فى حيثما حل ناظر



بريد العراق

قيل إن الصداقة كالخمر يزيدها القِدم عتقاً إلى عتق ، وهذا هو حالي مع أصدقائي في العراق ، فما يمر أسبوع بلا بريد يصل من هناك ، فأعرف به أخباراً تزيد شوقي إلى إخوان الصفاء ، أو تسوق حزناً يعذّب الفؤاد ، كالذي وقع حين قرأت نعي السيد صالح البدري في جريدة الزمان ، رحمه الله وألهم أهله روح الصبر الجميل

هل يعرف الصديق الذي رثى هذا الأديب بكلمة موجزة في جريدة الزمان أني كنت أحب أن يذكر ترجمة حياته بإطناب ؟

لقد سألت آحاداً من العراقيين المقيمين بالقاهرة عن السيد صالح البدري فلم يعرفوه ، فأدركت من جديد أن الآذان لا تسمع غير الصوت الصّجاج ، وقد تفوتها عذوبة الرنين اللطيف

الصلة بيني وبين السيد صالح البدري لم تَعْدُ عن تفضله بتشطير قصيدة بغداد ، وهي في نظري أقوى الصلات ، لأن مجاراة الشاعر للشاعر مساجلة بين روح وروح ، فمن واجبي أن أودعه بكلمة ثناء ، لا كلمة رثاء ، لأني أومن بأن الفكر لا يموت

وهنالك أخبار من العراق تمثلها الرسائل الواردة من بغداد والكرخ والبصرة والحلة والموصل والنجف ، وهي أخبار تشرح الصدر ، لأنها تصور وفاء القلوب في تلك البلاد

وهنالك رسائل طُويت عني ، بعد أن كُتبت مرة ومرتين ومرات ، لأزداد عذاباً إلى عذاب

سنلتقي يا غاضبين ولو بعد حين ، وستذوقون ثمرات التجني طائعين أو كارهين

إن الرسائل وصلت ، الرسائل التي طويتموها بعد أن كتبتموها ، وسأقرأها عليكم يوم التلاقي ، وهو بإذن الله قريب

وأنا أيضاً كتبت إليكم رسائل وطويتها عن عمد ، فهل وصل إليكم منها شيء ؟

بريد القلب هو البريد ، ولكن أين من يعرف تناجي القلوب على بعد الديار ؟

هل عندكم نية لحضور المؤتمر الطبي في العيد المقبل ؟

سأشترك في هذا المؤتمر ، وسأصنع مثل الذي صنعت منذ أعوام ، فأنتظر في محطة باب الحديد إلى الساعة الثالثة بعد نصف الليل ومعي الأستاذ عبده حسن الزيات ، راجياً أن يكون نصيبي منكم في هذه المرة أطيب من ذلك النصيب

تعالوا في العيد ، أو في غير العيد ، فرؤيتكم هي العيد

زكي مبارك

يا حسنها لو تقيم تلك الرؤى والمناظر

يا بحر جئناك نسعى وفي القلوب نضوبُ
فراقنا فيك مرعى من الحياة خصيب

دنيا من الصيف تاهت على الربيع دلالا
أزهارها النضر فاقت نور الرياض جمالا

طفقت أرسل عينا والموج غادٍ وآتي
ورحت أمشي الهوينا مجمّعاً ذكرياتي

مُحيياً كل حسنٍ رأيته ومتاع
بنظرة أو بلحن يهدي جميل وداعي

قد كنت يا دار أنسي معنى جرى في جناني
والآن يغمر حسي بالحب والتحنان

محمد طاهر الجبلاوي

رد على إيضاح

طالعت اليوم « إيضاح » بقلم الأستاذ القاضي المحامي بمنفلوط المنشور في العدد ٥٣٧ من مجلة الرسالة الغراء بشأن مقالي المنشور بالعدد ٥٣٥

ولقد عجبت كيف ينسب إليّ قولاً لم أذكره ، وله أن يدلني على الصفحة والسطر الذي قلت فيه : « إن الإسلام ينهى الفنان عن ابتداع الصور »

وقد كنت أحب لو تريث قليلاً قبل أن يحكم على عقيدتي في التصوير عند المسلمين ، ولا سيما وقد لفت النظر في نفس المقال الذي يعلق عليه إلى أنني سأتحدث في هذا الموضوع بالذات ، وتشاء المصادفات أن يظهر بحثي في هذا الصدد في نفس العدد الذي يظهر فيه هذا الإيضاح ، ثم له بعد ذلك أن يناقش رأيي ويصدر حكمه على عقيدتي

ولشد ما كنت أحب له أيضاً — وهو بحكم ثقافته القانونية قد يجلس يوماً ما بين الناس للقضاء — ألا يتسرع في الحكم ، ويتعجل في تكوين رأيه في عقيدة شخص قبل أن يقرأ بإمعان ما كتبه ، وقبل أن يتوفر له من الأدلة ما يساعده على الحكم عليه ، بل لقد بادر فساق رأيه فيما كتبه في سهولة عجيبة دون أن يسنده بالحجة أو الدليل

ولست في حاجة إلى القول بأن رأيي في التصوير عند المسلمين قد أوضحته جلياً ـ بما وسعني من علم ـ في هذه المجلة في العدد ٥٣٧ قبل أن أطلع على « إيضاح » ، وقد نشرت هذا الرأي أيضاً قبل ذلك بنحو خمسة أشهر في مجلة الهلال في البحث الذي عقدته عن « مجموعة رفعة شريف صبري باشا من الصور الإسلامية » في العدد الذي صدر في شهر يونيو سنة ١٩٤٣

وأظن أن فيما تقدم ما يكفي لكي ينفي المعنى الذي توهمه عني كاتب الإيضاح

محمد عبد العزيز مرزوق

الدقة اللفظية

إذا كانت الدقة مستحبة في كل شيء على وجه العموم ، فهي مستحبة في التعبير على وجه الخصوص . ولعل أول ما يميز التفكير العلمي الحديث أنه تفكير دقيق لا يخلط بين المتشابهات ولا يعمى عن الفروق الصغيرة ؛ فالدقة معيار هام في نظر العلم والفلسفة ، والخلط مظهر لانعدام الروح العلمية . وقد نص المنهج العلمي على وجوب تحديد المعاني قبل البدء في الموضوع ، وإقامة الفوارق بين الألفاظ قبل الشروع في استعمالها . ولكن الدقة اللفظية لا تتهيأ للكاتب إلا إذا أحاط بمعاني الألفاظ إحاطة وافية ، فلذا يجدر بنا أن نأتي على ذكر معاني الألفاظ التي كثيراً ما يخلط بينها الناس ، قبل أن نطالبهم بأن يفرقوا بينها تفرقة دقيقة محكمة

١ — فالناس كثيراً ما يخلطون بين النفس والروح ، وفي هذا يقول التوحيدي : « وقد ظنت العامة وكثير من أشباه الخاصة أن النفس هي الروح ، وأنه لا فرق بينهما إلا في اللفظ والتسمية ، وهذا ظن مردود ، لأن النفس جوهر قائم بنفسه لا حاجة بها إلى ما تقوم به ، وما هكذا الروح ، فإنها محتاجة إلى مواد البدن وآلاته » (« المقابسات » ، ١٠٦ ، ص ٣٧٢ ، ٣٧٣) « فالإنسان ليس إنساناً بالروح . بل بالنفس ، ولو كان إنساناً بالروح ، لم يكن بينه وبين الحمار فرق ، بأن كان له روح ولكن لا نفس له . فليس كل ذي روح ذا نفس ، ولكن كل ذي نفس ذو روح » (« الإمتاع والمؤانسة » الجزء الثاني ص ١١٣)

٢ — وكثيراً ما يخلط الناس أيضاً بين العلم والمعرفة ، ولكن التوحيدي يفرق بينهما فيقول إن : « المعرفة أخص بالمحسوسات والمعاني الجزئية ، والعلم أخص بالمعقولات والمعاني الكلية ، ولهذا يقال في الباري : يعلم ، ولا يقال يعرف ... » (المقابسة ٧٠ ، ص ٢٧٢)

٣ — ويفرّق التوحيدي أيضاً بين لفظين يختلطان في الاستعمال العادي ، وهما : الفعل والعمل . « فالفعل يقال على ما ينقضي ، والعمل يقال على الآثار التي تثبت في الذوات بعد انقضاء الحركة » (المقابسة ٧٥) ولهذه التفرقة نظير في الفرنسية لأن الفعل يقابل كلمة acte والعمل يقابل كلمة oeuvre

٤ — ومن الألفاظ التي يخلط بينها خلطاً ظاهراً ، ألفاظ المشاركة وهي : المساواة ، والمشابهة ، والمطابقة ، والمجانسة ، والمشاكلة ، والمماثلة . وقد نص ابن سينا في « النجاة » (المقالة الأولى من الإلهيات) على الفروق القائمة بين هذه الألفاظ ، فبين أن المساواة اسم المشاركة في الكم ، والمشابهة اسم المشاركة في الكيف ، والمطابقة اسم المشاركة في الوضع ، والمجانسة اسم المشاركة في الجنس ، والمشاكلة اسم المشاركة في الإضافة ، والمماثلة اسم المشاركة في النوع

هذه بعض الفروق التي تجب مراعاتها توخياً للدقة في القول ، وهي تدلنا على حاجتنا إلى شيء أكثر من الدقة اللفظية ، خاصة في بحوثنا العلمية والفلسفية .

زكريا إبراهيم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)